تَاريخُنا المَلَوَّنُ

قصص عن التعددية الجنسية والجندرية
من التاريخ العربي والإسلامي

بداية
BEDAYAA

مُسْلِم

تقديم

نود هنا أن نستعرض أمثلة للتعددية الجنسية والجندرية في التاريخ العربي والإسلامي الذي يحتفي به العديد من المسلمين، والذي تجلت فيه مظاهر عديدة للتعددية الجنسية والجندرية واتخذت صورًا وأشكالًا مختلفة. هذه ليست أبدًا محاولة للحصر، بل هي قصص وأمثلة متنوعة وقصيرة، تؤكد لنا أننا طالما كنا موجودات وموجودين باختلاف المفاهيم والمسميات.

يأتي هذا الكتيب ضمن مشروع الإسلام والكويرية، في إطار الشراكة بين مبادرة م مسلم ومنظمة بداية.
هذا العمل مرخّص برخصة المشاع الإبداعي نَسب المُصنَّف 4.0 دولي. لمشاهدة نسخة من الرخصة، يرجى زيارة
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

القصص

٤ المغنية بذل

٥ مثلية من صعيد مصر

٦ الأمين

٧ الغلاميات

٨ أبو نواس

٩ ابن سهل الأندلسي

١٠ المخنثون

المغنية بذل

(ألا لا أرى شيئًا ألذ من السحق)

عاشت بذل في العصر العباسي، أيام الخليفة المأمون. كانت من أهم المغنين في هذه الحقبة وممن أسهمن في تأريخ حقيقي للغناء العربي، حيث جمعت أكثر من اثني عشر ألف صوت غنائي في كتابها. إضافة إلى أنها كانت تحفظ مئات الألوف من الأصوات.

تتلمذت بذل على أيدي أعلام كبار في عدة مدارس فنية، أمثال أبو القاسم بن جامع، وإبراهيم بن المهديّ، مما ساعدها كثيراً وجعلها فنانة قديرة ذات خبرة وحصيلة معرفية كبيرة في العلوم الموسيقية والغنائية. وما دعمها في ذلك أكثر، ذاكرتها العجيبة التي أهّلتها لأن تكون مرجعًا مهمًا للأصوات الغنائية.

وقد قال أبو الفرج الأصفهاني عنها في كتابه الشهير (الأغاني): "كانت بذْل صفراء مولدة من مولدات المدينة، وربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات، الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت..."

ولما كان لها من مكانة وعلم غزير، فقد كان لبذل الكثير من المعجبين الذين يتقدمون لخطبتها ويعملون على استرضائها بكل الطرق. لكنها عُرفت برفضها القاطع للزواج من الرجال.

وعن ذلك فقد أشار الأصفهاني بأنها كانت "ظريفة".

وقد كان مصطلح "ظريفة" متداولًا في بعض البلدان العربية للإشارة للنساء المثليات، أو كما أُطلق عليهن وقتها "السحاقيات". كما قال التيفاشي: "إن قيل أن فلانة ‹ظريفة› عُلِمَ بينهن أنها سحاقية".

وفي إشارة الأصفهاني ذكر حادثة صارت في مجلس شراب للخليفة المأمون، حيث غنت بذل بيت:

«ألا لا أرى شيئًا ألذ من الوعد»

فغيرته قائلة:

«ألا لا أرى شيئًا ألذ من السحق»

مثلية من صعيد مصر

لا تعبث مع المثليات المصريات

يحكي التيفاشي في كتابه (نزهة الألباب) حكاية قاضٍ مصري قابله حين كان في مصر في العصر العباسي. فقد حدث أن ذهب القاضي ذات ليلة إلى المقابر "القرافة" في صعيد مصر، عازمًا على المبيت هناك. وقد كانت هناك مساكن تجتمع فيها النساء كل أسبوع.

فبينما كان يسير بين المقابر راكبًا بغله، إذ سمع صوتًا يأتي من تربة على أطراف القرافة. كان صوت أنين وشهيق أنثوي أجفل القاضي ودفعه للاقتراب ليتبين حقيقته. فرأى جارية تركية جميلة تعتليها امرأة مصرية. كانتا تمارسان الجنس وتتبادلان كلمات الغزل.

فلما هم القاضي بفضحهما قامت إليه المرأة المصرية وعرضت عليه الجارية الحسناء مقابل صمته وتركهما لشأنهما. ولأن القاضي كان بالفعل مأخوذًا بحسن الجارية فقد وافق. ولما ترك بغله وسوطه في حوزة المصرية واقترب من الجارية، رافعًا ثوبه ونازعًا سراويله. سمع صراخ المرأة الأخرى تخبره أن بغله قد هرب، فراح يهرول خلفه متخبطًا بهيئته تلك، فيما يسمع ضحكات المرأتين من خلفه. كانت المرأة قد ضربت بغله بالسوط ليعدو مبتعدًا والناس يضحكون من منظره.

حكمة اليوم: لا تعبث مع المثليات المصريات.

الأمين

الخليفة المثلي

كان الخليفة العباسي محمد الأمين، ابن هارون الرشيد، قد امتنع عن معاشرة النساء، وجعل لنفسه عددًا من الغلمان يُفضي إليهم في أوقات خلوته.
ومن هؤلاء الغلمان غلام يدعى كوثر، أحبه الأمين وهام به عشقًا، لدرجة أن نظم فيه شعرًا يصف شغفه به، وحتى الشعراء كانوا إذا أرادوا التقرب للخليفة، كتبوا قصائد غزل في غلامه كوثر.

ومما نظم الأمين في غلامه:
مايريد الناس من صب بما يهوى كئيب
كوثر ديني ودنياي وسقمي وطبيبي
أعجز الناس الذي يثني محبًا عن حبيب

وقد حاولت والدته، زبيدة بنت جعفر، أن تحبب إليه النساء فجعلت جواري القصر يرتدين زي الذكور، لكن محاولاتها باءت بالفشل.

الغلاميات

ترانس في العصر العباسي

في محاولة والدة الخليفة الأمين، الذي كان مثليا، أن تجعل ابنها يرغب في النساء، أمرت جميع الجواري باتخاذ زي الذكور؛ فألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق (وهي من ألبسة شباب الجند وغلمان العسكر)، وشاعت تسميتهن بالغلاميات.

وشاع هذا الأمر حتى كان وجود الغلاميات ظاهرة واسعة الانتشار، ورغم أنها لم تساعد في الحد من ظهور المثلية بين الرجال في المجتمع العباسي، إلا أنها ساعدت الكثير من الرجال الترانس وغير النمطيات/ين عمومًا في التعبير عن أنفسهن/م بحرية أكبر حيث لم يتوقف الأمر على الملابس، فقد أمكن للإناث تصفيف الشعر مثل الغلمان وخط الشوارب من المسك والعبير بل وحتى كان للبعض أسماء مذكرة مثل القاسم.

وعن هذا قال أبو نواس:

حور طلعن مؤنثات الدل في زي الذكور

أصداغهن معقربات والشوارب من عبير

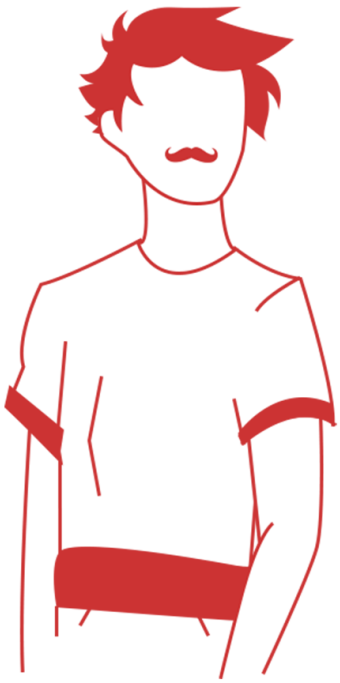

وقد أبرز هؤلاء خصائص رجولية واضحة، فلعبوا ألعاب الرجال في ذلك العصر وامتهنوا مهن الرجال واستخدموا أسلحتهم حتى لم يميز البعض بينهم وبين الذكور البيولوجيين.

وقال أبو نواس أيضًا:

مذكرة مؤنثة مهاة

إذا برزت تشبهها غلاما

ورغم أنها كانت محاولة لتغيير ميول الخليفة المثلي، إلا أنها لم تنجح سوى في مساعدة الرجال الترانس على الظهور بحرية أكبر في ذلك العصر.

أبو نواس

صاحب أحد أشهر الابتهالات الإسلامية، وهو ابتهال (عفوك أعظم) الذي أنشده سيد النقشبندي ومشاري راشد العفاسي وصباح فخري وناظم الغزالي ومصطفى عاطف وعبدالرحمن رشدي والعديد من المنشدين الدينيين، حتى الشيعة؛ فأنشده الرادود باسم الكربلائي، وهو يعرض يوميًا على العديد من القنوات الإسلامية.

كان أبو نواس ‹الحسن بن هانئ› من أبرز شعراء العصر العباسي، إن لم يكن أبرزهم. وربما كان أكثرهم تعقيدًا لمن أتى بعده، وحتى لمن عاصره. أبو نواس، الشاعر الذي لم يتكلف يومًا بوضع اعتبار لأي شيء خلاف نفسه.

لم يكن يعطِ وزنًا للناس ولا لآرائهم عنه، بل كان يزدري نفاقهم صراحةً بأفعاله.

فقد تغزل بالخمر ونظم فيها شعرًا، حين كان الغالبية من الناس يشربونها سرًا:

"ألا فاسقِني خمرًا وقل لي: هي الخمر ولا تسقني سرًا إذا أمكن الجهرُ"

وهو الذي تغزل بالرجال الملتحين، حين شاع التغزُّل بالشُّبان المُرد ‹الذين لم تنبت لحيتهم›:

"قال الوشاة: بدت في الخد لحيته فقلت: لا تكثروا ما ذاك عائبه
الحسن منه على ما كنت أعهده والشعر حرز له ممن يطالبه"

وكذلك فقد تغزل صراحةً في الغلمان والغلاميات، وكذلك النساء النمطيات. إن أبا نواس في الحقيقة، كما كان مثالًا للصراحة والوضوح والاتساق مع النفس، كان مثالًا صارخًا على تعددية الميول الجنسية.

ابن سهل الأندلسي

شاعر إشبيلية

لقد امتد الانفتاح على العلاقات المثلية بامتداد الدولة الإسلامية، ومن أشهر شعراء الأندلس، إبراهيم بن سهل الإشبيلي المشهور بشاعر إشبيلية، وهو شاعر أندلسيّ ولد في مدينة إشبيلية لأسرة يهودية، أسلم في شبابه وحسن إسلامه، حتى نظم الشِعر في مدح الرسول، واشتهر في فن الموشحات، فكان من أبرز الشعراء الذين كتبوا الموشحات الأندلسية، وكذلك فقد برع في نظم الغزليات، وله الكثير من الأبيات التي مازال يتم تداولها إلى الآن، مثل:

قَلبُ المُعَنَّى مِن خَيَالِكَ مَا خَلاَ وَالنَّومُ بَعدَكَ يَا حَبيبِي ما حَلاَ

فأنَا الَّذِي بِهُيَامِهِ وَغَرَامِهِ أهوَاكَ يَا قَمَراً عَلى رَأسِ المَلاَ

وقد كان الإشبيلي يعشق فتىً اسمه موسى تردد ذكره في أغلب أشعاره:

كأنّ الخال في وجنات موسى سواد العتب في نور الوداد

وخُطّ بخده للحسن واو فنقّط خده بعض المداد

وحاول البعض اعتبار أن الإشبيلي كان يتحدث عن نبي الله موسى، لا عن معشوقه، وقد رد صاحب ‹البحر المحيط› أثير الدين أبو حيان، على القائلين بأن موسى المقصود هو موسى الكليم، بأبيات غزلية واضحة من أشعار الإشبيلي:

أصبو إلى قصص الكليم وذكره قصدًا لذكرك عندها وتعرُّضا

وفي قصيدة أخرى:

أبطل موسى السحر فيما مضى وجاء موسى اليوم بالسحر

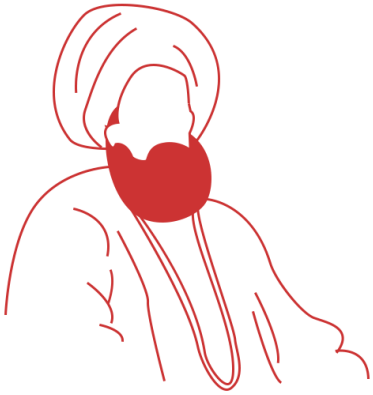

المخنثون

(بل صرنا نساءً حقًا)

يعتبر لفظ "مخنث" اليوم لفظًا مسيئًا، إلا أن العرب طالما استخدموه، دون إساءة، فالمخنث في اللغة هو من يُعد ذكرًا عند الولادة وتكون له خصائص أنثوية، وهم أقرب اليوم إلى النساء الترانس وقد يشمل الرجال المثليين ذوي السلوك الأنثوي، وقد كان ظهور المخنثين واضحًا في معظم العصور الإسلامية وفي مختلف بلادها وقد تميزوا عن الرجال بحلق اللحى والكلام المؤنث وكان للعديد منهم أسماء مؤنثة مثل دلال وطريفة.

في القرن الأول الهجري، كتب سليمان بن عبد الملك إلى والي المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم أن (أحْصِ المخنثين قبلك) أي عدهم. فوقعت من قلم الكاتب نقطة على الحاء فجعلها خاء فلما ورد الكتاب على والي المدينة قرأ كاتبه: (اخص المخنثين)، فقال له الأمير: لعله: أحص المخنثين، فقال: أيها الأمير إن على الحاء نقطةٌ مثل سُهيل، فأمر الأمير بإحضار المخنثين للخصاء، فهرب معظمهم وتعرض عدد قليل منهم بالفعل للخصاء، اختلفت الكتب في عددهم، فقيل اثنان، وقيل أربعة، وقيل ستة، وقيل تسعة، كان الخصاء إجباريًا وهو ما يجعل هذا الحادث عملاً عنيفًا، ولكن المثير للاهتمام هو ردود أفعالهم حوله؛ فقد روى أبو الفضل الميداني أن طويس قال/ت بعد الخصاء: "ما هذا إلا خِتَان أعيد علينا"، وقال/ت دلال: "بل هذا هو الخِتان الأكبر"، وقال/ت نسيم السحر: "بالخصاء صرتُ مُخَنثا حقا"، وقال/ت نومة الضحى: "بل صرنا نساءً حقا"، وقال/ت برد الفؤاد: "استرحْنَا من حَمْل مِيزاب البَوْل"، وقال/ت ظل الشجر: "ما يصنع بسلاح لا يستعمل".

وروى حمزة الأصفهاني أن طويس قد قال/ت: "ما عملتم شيئًا فبالخصاء استكملنا الخُناث"، وروى البلاذري أن دلال قد قال/ت: "الآن تمّ لي الخنث".

وروى الجاحظ عن مشايخ من أهل المدينة أنهم حكوا عنهما (أنهما قالا: الآن صرنا نساء بالحقّ!! كأنّ الأمر لو كان إليهما لاختارا أن يكونا امرأتين)، وعن تأثير الخصاء عليهما قالوا (أنهما خرجا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث، من فتور الكلام ولين المفاصل والعظام، ومن التفكّك والتثنّي، إلى مقدار لم يروا أحدا بلغه، لا من مخنّثات النساء، ولا من مؤنّثي الرجال)، وهو ما يرجح أنهن نساء ترانس.

مراجع

- الأغاني، الأصفهاني
- نزهة الألباب، التيفاشي
- العقد الفريد، ابن عبدربه
- مصارع العشاق، أبو محمد السراج
- أخبار أبي نواس، ابن منظور
- الكامل، ابن الأثير
- تاريخ الطبري
- ديوان أبي نواس
- الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، آمال قراني
- المرأة في العصر العباسي الأول، نهاد عموري
- ديوان ابن سهل الأندلسي
- الموشحات الأندلسية 'دراسة نقدية'
- مجمع الأمثال، الميداني
- أنساب الأشراف، البلاذري
- الحيوان، الجاحظ
- التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني
- أخبار المصحفين، أبو أحمد العسكري
- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون

تتخلل كتب التراث العربي والإسلامي مظاهر واضحة للتعددية الجنسية والجندرية، وهو ما نعرف من خلاله كيف تمكن أسلافنا من الظهور بصور مختلفة، وكيف لعب بعضهم الأدوار الرئيسة في تمهيد الساحة لمظاهر أخرى.

لقد كان لأسلافنا مفاهيمهم الخاصة حول الجنسانية والهوية الجندرية، كما كان لهم مصطلحاتهم الخاصة التي عبروا بها عن تلك المفاهيم، ورغم أنها قد لا تطابق مفاهيمنا الحالية، إلا أنها وفرت للعديد من الأطياف مناخًا أفضل من ذلك الذي نعيش فيه الآن.

يدعونا كل هذا للفخر بأسلافنا الذين أوجدوا لأنفسهم مساحات للتعبير عن هوياتهم المختلفة، والفخر بأننا جزء من هذه المجتمعات التي ظلت تحارب العنف والكراهية وتناضل من أجل الحق في الحب بكل أشكاله.

وكما أن هوياتنا ملونة، فإن تاريخنا أيضًا ملون.